بسم الله الرحمن الرحيم

الجذور التاريخية للأسرة الأموية

يتنسب الأمويون إلى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وفي عبد مناف يلتقي بنو أمية مع بني هاشم، وكان بنو عبد مناف يتمتعون بمركز الزعامة في مكة، لا يناهضهم فيه أحد من بطون قريش.. وجميع قريش تعرف ذلك وتسلم لهم الرياسة عليها[1].

أولاً: شهادة التاريخ بين الهاشميين والأمويين:

كان بنو عبد مناف بن قصي وحدة واحدة في محاولتهم اقتسام السلطة في مكة مع بني عمهم عبد الدار بن قصي، الذي فضله والده على سائر أبنائه، رغم شرفهم عليه، وجعل له الحجابة واللواء والسقاية والرفادة، وكان زعيمهم في هذه المحاولة هو عبد شمس، أبو أمية، إذ كان أسن بني عبد مناف، وتفرقت قريش على ذلك بين فريقين، عبد مناف وعبد الدار، ثم تداعوا إلى الصلح على أن يعطوا بني عبد مناف السقاية والرفادة، وأن تكون الحجابة واللواء والندوة لبني عبد الدار، فولي الرفادة والسقاية هاشم بن عبد مناف، وذلك أن عبد شمس كان رجلاً سفاراً، قلما يقيم بمكة، وكان مقلاً ذا ولد، وكان هاشم موسراً[2].. وهكذا كانت السلطة في مكة عبارة عن مراكز تنفوذ تقررها الأهمية الاقتصادية، دون أن يكون لأسرة ما أو زعيم ما السيادة الكاملة على غرار ما كان لقصي زعيم قريش الأول[3].. وكذلك اشترك بنو عبد مناف معاً في جهودهم لتنظيم التجارة بين مكة وما حولها[4]، وهكذا كانوا يداً واحدة تتحرك في تفاهم وتآلف، فلما ماتوا رثاهم الشعراء معاً، دون تفريق بينهم تماماً كما كانوا يمتدحونهم معاً[5]، وهكذا تقتضي طبيعة الحياة العربية في الجاهلية أن يتناصر أبناء الأب الواحد، وأن تجتمع كلمتهم ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً[6]، وأما الروايات التي تزعم وجود عداء مستحكم بين بني هاشم وبني عبد شمس وأمية قبل الإسلام، فهي واهية الأسانيد، لا تثبت، فهي تروي

(1) النجوم العوالي للعصامي (3/ 2).
(2) السيرة النبوية لابن هشام (1/ 137 - 138، 141).
(3) الحجاز والدولة الإسلامية ص: 87.
(4) تاريخ الطبري (2/ 252).
(5) السيرة النبوية لابن هشام (1/ 144 - 148).
(6) الدولة الأموية المفترى عليها ص: 122.

أن هاشماً وعبد شمس ولدا ملتصقين ففصل بينهما بالسيف، فكان بين أبنائهما الدماء لأجل ذلك[1]، فهذه رواية لقيطة ليس لها راوي، تفوح منها رائحة الأسطورة والخيال، ويكذبها ما رواه ابن اسحاق من أن عبد شمس كان أسن بني عبد مناف[2] والروايات التي تروي أن منافرات حدثت بين هاشم وأمية بن عبد شمس، وبين عبد المطلب بن هاشم وحرب بن أمية[3]، وكلتا الروايتين ترويان عن هشام الكلبي وهو راوية شيعي كذاب يرويهما كلتاهما عن رجال مجهولين لا يعرف أسماءهم[4]، إذ إن هذه الروايات كما يبدو واضحاً من سندها المعتل ومتنها المصطنع كانت صدى لما حدث فيما بعد من صراع بين بني أمية وبني هاشم حاول الرواة أن يجعلوا له سنداً تاريخياً ثابتاً، وتظل حقيقة العلاقة الطيبة بين الفريقين لا شك فيها[5] ولذلك يقول ابن خلدون: كان لبني عبد مناف في قريش جمل من العدة والشرف لا يناهضهم فيها أحد من سائر بطون قريش: وكان فخذاهم بنو أمية وبنو هاشم هما جميعاً ينتمون لعبد مناف، وينتسبون إليه، وقريش تعرف ذلك وتسأل لهم الرياسة عليهم، إلا أن بني أمية كانوا أكثر عدداً من بني هاشم وأوفر رجالاً والعزة إنما هي بالكثرة، قال الشاعر: وإنما العزة للكاثر[6].. ولعل ما يشير إليه ابن خلدون من تفوق بني أمية قد اتضح قبيل مبعث الرسول ﷺ لما مات عبد المطلب بن هاشم الذي ورث شرف أبيه وبرز نجم أبي سفيان بن حرب فذلك ما يبدو من هذا الوصف الدقيق لطبيعة العلاقة بين بني أمية وبني هاشم على لسان معاوية بن أبي سفيان ﷺ لما سئل: أيكم كان أشرف أنتم أو بنو هاشم؟ فأجاب: كنا أكثر أشرافاً وكانوا هم أشرف، وكان فيهم عبد المطلب ولم يكن فينا مثله، فلما صرنا أكثر عدداً وأكثر أشرافاً، ولم يكن فيهم واحد كواحدنا، فلم يكن إلا كقرار العين حتى قالوا: منا نبي، فجاء نبي لم يسمع الأولون والآخرون بمثله، محمد ﷺ، فمن يدرك هذه الفضيلة وهذا الشرف[7]؟.

إن كل ذلك لا ينفي احتمال وجود نوع من التنافس بين الجانبين قبل الإسلام، في ضوء ما نعرف من طبيعة الحياة العربية في مكة قبل الإسلام، ولكنه تنافس يحدث بين الإخوة أحياناً، وبين أبناء الأب الواحد، غير أنه لم يتطور ليصبح تربصاً وعداء كما يزعم المتزيدون[8]، ولدينا من شواهد التاريخ ما يدل على قوة العلاقة بين بني هاشم وبني أمية، فقد كان عبد المطلب بن هاشم ـ زعيم الهاشميين في عصره ـ صديقاً لحرب بن أمية ـ زعيم الأمويين ـ كما كان العباس بن عبد المطلب بن هاشم صديقاً حميماً لأبي سفيان بن حرب بن أمية، وفي قصة

(1) النزاع والتخاصم للمقريزي ص: 181.
(2) السيرة النبوية لابن هشام (1/ 137).
(3) النزاع والتخاصم ص: 181، الدولة الأموية، شاهين ص: 122.
(4) الدولة الأموية المفترى عليها ص: 122.
(5) المصدر نفسه ص: 123.
(6) تاريخ ابن خلدون (3/ 2).
(7) البداية والنهاية (8/ 138).
(8) الدولة الأموية المفترى عليها ص: 123.

إسلام أبي سفيان عند فتح مكة، ودور العباس فيها أكبر دليل على ذلك، كما سنبينها في الصفحات القادمة بإذن الله، والغريب أن المقريزي الذي ألف كتاباً خاصاً عن علاقات الهاشميين والأمويين وجعل محوره النزاع والتخاصم ، يعترف بالصداقة الوطيدة التي كانت بين العباس وأبي سفيان[1]، فإذا كانت الصداقة الوطيدة قائمة ووطيدة بين زعماء البيتين ـ الأموي والهاشمي ـ وهما أبناء أب واحد، وهو عبد مناف بن قصي، فإن الحدس بتأصيل النزاع بينهما بعد الإسلام والرجوع به إلى ما قبل الإسلام لا سند له من تاريخ[2].

إن الكتاب المنسوب للمقريزي «النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم»، لا يمكن أن يتصور عاقل أن يد المقريزي قد خطت حرفاً واحداً من هذا الكتاب. لأن المقريزي لا يمكن أن ينزل إلى هذا الدرك من إلغاء العقل، والجهل بالأحكام، فمؤلف هذا الكتاب ألفه صاحبه في عصر الانحدار الطائفي، والتهافت العاطفي، وتخلى فيه عن صفة المؤرخ، وبعد عن سجية العلماء، حيث جعل هذا الكتاب متنفساً عن بغضاء مكتومة، وحقد دفين، جعلها أساساً لحكمه وشعاراً لكتابه[3]، ويرى الدكتور إبراهيم شعوط أن الكتاب منسوب للمقريزي[4]، والذي يهمنا أن ما قرّره صاحب الكتاب من أن العداوة مستحكمة بين بني أمية وهاشم وأنها قديمة لا يثبت هذا الادعاء أمام البحث العلمي النزيه، إن الذين ينظرون إلى تاريخ بني أمية من خلال موقف أبي سفيان من الإسلام في مكة ومن خلال ما دار بين علي ومعاوية ﷺ من حروب يبنون على ذلك - كما فعل العقاد - أوهاماً من صراع تاريخي قبل الإسلام وبعده بين بني هاشم وبني أمية وتلك أوهام ليس لها من التاريخ إلا رواية ملفقة أو أحداثاً عارضة لا تمثل قط صراعاً بين هذين الفرعين الكريمين من بني عبد مناف، هما ذروة الشرف في قريش[5]، والذي يظهره البحث العلمي النزيه وبعد ترك الروايات والأساطير الساقطة يتضح أن العلاقة بين البطنين كانت طبيعية مثلها مثل العلاقة بين باقي بطون قريش.

ثانياً: موقف بني أمية من الدعوة الإسلامية:

لقد كان تعامل الأمويين مع الدعوة الناشئة هو نفس تعامل بقية بطون قريش للدعوة الجديدة من أمثال بني مخزوم وبني هاشم وغيرهم، ولنأخذ على ذلك مثالاً وهو كيفية تعامل بني هاشم رهط النبي ﷺ وأقرب بطون قريش إليه مع الدعوة، فإن منطق العصبية السائد في الجاهلية يقتضي أن يتلقف بنو هاشم الدعوة الجديدة التي تحقق لهم العزة والشرف بالإيمان والنصرة وأن يقفوا خلف النبي الهاشمي بالتأييد والبذل، وقد وقفوا إلى جواره فعلاً في بعض المواقف

(1) العالم الإسلامي في العصر الأموي ص: 2.
(2) المصدر نفسه ص: 5.
(3) أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ ص: 209.
(4) المصدر نفسه ص: 213.
(5) المناهج الإسلامية لدراسة التاريخ، د. محمد رشاد خليل ص: 24.

ولعل أشهرها حصار الكافرين لهم في شعب بني هاشم، ولكنهم في النظرة الشاملة انقسموا عليه بين مؤيد ومعارض ومؤمن وكافر، شأنهم في ذلك شأن غيرهم من قبائل مكة، والمثال المشهور لكفار بني هاشم هو أبو لهب عم النبي ﷺ الذي كان أول من جهر بعداوة الإسلام لما جهر الرسول بدعوته، ولم يكتف بالمعارضة الصريحة بل عضدها بالعمل والكيد، فقد مارس صوراً شتى في تعذيب الرسول ﷺ وصد الناس[1] عنه، وكانت معه زوجته أم جميل بنت حرب الأموية، وابنيه عتبة وعتيبة اللذين طلقا بنتي النبي رقية وأم كلثوم ليشغلا محمداً[2] ببنتيه، وكان ابنه عتبة يشارك في إيذاء النبي ﷺ حتى دعا عليه فنهشه أسد في بعض أسفاره[3]، بل إن أبا لهب لم يدخل مع قومه شعب بني هاشم لما حاصرتهم قريش[4] فيه، ولما لم يستطع الخروج مع قريش لقتال الرسول يوم بدر استأجر بدلاً منه العاص بن هشام بن المغيرة بأربعة آلاف درهم[5]، وقد كان أبو لهب في كفره وعناده مثالاً مشهوراً ولكنه لم يكن الهاشمي الوحيد الذي كفر بالنبي ﷺ وجهد في إيذائه وحربه، فقد كان في أسرى المشركين يوم بدر من بني هاشم: العباس بن عبد المطلب وعقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث، وحليفهم عتبة ابن عمرو بن جحدم، وقد قبل الرسول ﷺ فداءهم فيمن افتدى من أسرى قريش[6]، وكان أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ممن شهد قتال يوم بدر مع المشركين ونجا من القتل والأسر[7] وهو ابن عم النبي ﷺ وأخوه من الرضاعة ـ أرضعتهما حليمة السعدية أياماً ـ وكان يألف رسول الله وكان له تربا، فلما بعث رسول الله عاداه عداوة لم يعادها أحد قط، ولم يدخل الشعب مع بني هاشم وهجا رسول الله وأصحابه، وكان من المجاهرين بالظلم له ﷺ ولكل من آمن به قبل الهجرة[8].

إن أعظم النصرة والتأييد لقيهما النبي ﷺ من عمه أبي طالب الذي تحمل في سبيل ذلك ضغوطاً هائلة من قريش، ولكنه ظل حتى اللحظات الأخيرة من حياته وفياً لدين آبائه، فمات على ملة الأشياخ من قومه[9]، وظل العباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ الآخر في مكة،

(1) السيرة النبوية لابن هشام (2/ 64 - 65)، والسيرة للصلابي (1/ 404).
(2) السيرة النبوية لابن هشام (2/ 219)، الدولة الأموية شاهين ص: 125.
(3) أنساب الأشراف (1/ 130 - 131).
(4) السيرة النبوية لابن هشام (1/ 339).
(5) السيرة النبوية لابن هشام (2/ 183).
(6) تاريخ الطبري (2/ 465 - 466).
(7) المصدر السابق (2/ 462).
(8) في اختصار المغازي والسير، لابن عبد البر ص: 44.
(9) زاد المعاد (2/ 46) السيرة النبوية لابن هشام (1/ 256).

واشترك مكرهاً ضده في غزوة بدر وأسر بها، ولكنه لم يهاجر إلى المدينة ويعلن إسلامه إلا والرسول ﷺ في طريقه لفتح مكة[1]، وقد أسلم في مكة نفر من بني هاشم وبذلوا في سبيل الدعوة الكثير مثل علي بن أبي طالب وحمزة بن عبد المطلب، وجعفر بن أبي طالب وغيرهم ولكنهم كانوا يشاركون غيرهم من غير بني هاشم في ذلك كأبي بكر وعمر وعثمان، ولم يكن بذلهم لأنهم هاشميون بل لأنهم مسلمون، ويظل إيمانهم دليلاً على صدق القول باختلاف استجابة الأفراد للدعوة الإسلامية بغض النظر عن انتماءاتهم القبلية[2]، وبالنسبة لبني أمية وموقفهم من الإسلام فإن مؤرخينا لا يتحدثون عنهم كبطن مستقل من بطون قريش وإنما يتحدثون عنهم مع غيرهم من بني عبد شمس والد أمية، فيعدونهم وحدة واحدة[3]، وقد كانوا أبناء أب واحد وتربطهم علاقات التصاهر والترابط الاجتماعي ولذلك فإنهم عند حديثهم عن عداء بني أمية للرسول يذكرون اسمي عتيبة وشيبة ابني ربيعة بن عبد شمس، ورغم أنهما ليسا من بني أمية. . ويذكرون معهما أيضاً أبا سفيان بن حرب وعقبة بن أبي معيط، فأما عقبة بن أبي معيط هذا فقد كان من مردة قريش، فقد تفل في وجه رسول الله، ورمى عليه سلى جزور وهو يصلي، وخنقه بثوب في عنقه حتى دفعه أبو بكر الصديق[4]، وقد نال جزاءه لما أمر النبي ﷺ بقتله بعد أسره يوم بدر، والغريب أنه كان يذكره بما بينهما من رحم[5]، ومثل هذه النماذج الطائشة لم ينفرد بها بنو أمية أو عبد شمس في مكة آنذاك[6]، وأما معارضة عتبة وشيبة ابني ربيعة فمعلومة ومشهورة ومع هذا لما هاجر الرسول ﷺ إلى الطائف وصده عنها أهلها وتبعه الصبيان والغلمان يرمونه ويصيحون به لجأ إلى حائط ابني ربيعة عتبة وشيبة، فلما رأياه على هذا الحال تحركت له رحمهما، فدعوا غلاماً نصرانياً يقال له عداس، فقالا له: خذ قطفاً من هذا العنب فضعه في هذا الطبق ثم اذهب إلى ذلك الرجل فقل له يأكل منه[7].

ثالثاً: أمويون مسلمون منذ بداية الدعوة الإسلامية:

وإذا جارينا نهج المؤرخين في الحديث عن بني أمية وبني عبد شمس معاً، فإننا نرى منهم جماعة كانوا من السابقين إلى الإسلام، فمنذ المرحلة السرية للدعوة وقبل الجهر بها كان قد أسلم كل من عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية، وكان إسلامه على يد أبي بكر الصديق في أيام الإسلام الأولى[8]، وكذلك كان إسلام خالد بن سعيد بن العاص بن أمية، وقد أسلم في هذه المرحلة السرية التي دامت حوالي ثلاث سنين[9]: أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد

(1) السيرة النبوية لابن هشام (4/ 12).
(2) الدولة الأموية المفترى عليها ص: 127.
(3) السيرة النبوية لابن هشام (3/ 70 - 71).
(4) البخاري، رقم (3687، 3856).
(5) السيرة النبوية لابن هشام (2/ 212).
(6) الدولة الأموية المفترى عليها ص: 127.
(7) السيرة النبوية (1/ 292 - 293).
(8) السيرة النبوية لابن هشام (1/ 260).
(9) تاريخ الطبري (2/ 318).

شمس[1]، كما أسلم في مرحلة مبكرة حليفان لبني أمية وهما عبد الله بن جحش بن رئاب وأخوه أبو أحمد بن جحش، وهما ابنا عمة النبي ﷺ فأمهما أميمة بنت عبد المطلب[2]، وفي الهجرة الأولى إلى الحبشة شارك نفر من مسلمي بني أمية مثل عثمان بن عفان ومعه زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة، وزوجته سهلة بنت سهيل بن عمرو[3]، كما كان لبني أمية مشاركة في الهجرة الثانية ومعهم بعض حلفائهم، وقد ذكر الدكتور حمدي شاهين قائمة طويلة بأسمائهم، مما يؤكد استجابة بعض بني أمية للإسلام منذ بداية الدعوة[4]، وقد ساهمت نساء بني أمية وعبد شمس في صنع مسيرة الإسلام وفي إعطاء الأسوة وضرب المثل في نبل التضحية وعزيز العطاء، فقد أسلمت رملة بنت شيبة بن ربيعة زوجة عثمان بن عفان وهاجرت معه إلى المدينة وثبتت معه على دينه رغم مقتل أبيها وعمها وابنه في بدر، مما أهاج عليها غضب هند بنت عتبة فقالت تعيبها:

لحى الرحمٰن صابئة بوج ... ومكة أو بأطراف الحجون
تدين لمعشر قتلوا أباها ... أقتل أبيك جاءك باليقين[5]

وهاجرت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط إلى المدينة في الهدنة التي كانت بين النبي والمشركين في الحديبية، على أن الصورة الأزهى والنموذج الأرقى في ذلك المجال هو إسلام أم المؤمنين أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان، فقد أسلمت مبكراً[6]، وهاجرت مع زوجها إلى الحبشة وسيأتي الحديث عنها بإذن الله تعالى.

رابعاً: المصاهرات بين بني هاشم وبني أمية:

لم يكن بين بني هاشم وبني أمية من المباغضة والعداوة والمنافرة التي اخترعها وابتكرها أعداء الإسلام والمسلمين ونسجوا الأساطير والقصص حولها، فالحقيقة التاريخية تقول: بأن علاقتهم كانت علاقة أبناء العمومة والإخوان والخلان، فهم من أقرب الناس فيما بينهم، يتبادلون الحب والتقدير والاحترام، ويتقاسمون الهموم والآلام والأحزان، فبنو أمية وبنو هاشم كلهم أبناء أب واحد، وأحفاد جد واحد، وأغصان شجرة واحدة قبل الإسلام وبعد الإسلام وكلهم استقوا من عين واحدة ومنبع صاف واحد، وأخذوا الثمار من دين الله الحنيف الذي جاء به رسول الله الصادق الأمين، المعلم، المربي، خاتم الأنبياء والمرسلين، ولقد كان بين أبي سفيان وبين العباس صداقة يضرب بها الأمثال[7]، كما كانت بينهم المصاهرات

(1) السيرة النبوية لابن هشام(1/ 263).
(2) المصدر نفسه (1/ 262).
(3) المصدر نفسه (1/ 315).
(4) الدولة الأموية المفترى عليها ص: 131.
(5) نسب قريش ص: 104 - 105.
(6) التبيين في أنساب القرشيين ص: 209.
(7) الشيعة وأهل البيت ص: 141.

قبل الإسلام وبعده، وكان على رأسهم رسول الله ﷺ الذي زوج بناته الثلاثة من الأربعة من بني أمية، وهذه نماذج من المصاهرات بينهم:

أ ـ عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية، فقد تزوج رقية بنت رسول الله ﷺ ثم بعد وفاتها تزوج أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ.

ب ـ أبو العاص بن الربيع وهو من بني أمية، فقد تزوج زينب بنت رسول الله ﷺ وولدت زينب له ابنة وهي أمامة، وتزوجها علي بن أبي طالب ﷺ بعد وفاة فاطمة الزهراء[1].

ت ـ خديجة بنت علي بن أبي طالب ، تزوجها عبد الرحمٰن بن عامر بن كريز الأموي[2].

ث ـ رملة بنت علي بن أبي طالب، تزوجها معاوية بن مروان بن الحكم[3].

ج ـ زينب بنت الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب تزوجها الوليد بن عبد الملك بن مروان[4].

ح ـ فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب ، تزوجها عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان[5]، وقد اكتفيت ببيان بعض منها، وفيها كفاية لمن أراد الحق والتبصر[6].

(1) الأسماء والمصاهرات بين أهل البيت والصحابة، أبي معاذ السيد بن أحمد الإسماعيلي ص: 22.
(2) المصدر نفسه ص: 23.
(3) نسب قريش ص: 45، جمهرة أنساب العرب، ص: 87.
(4) نسب قريش ص: 52، الأسماء والمصاهرات بين أهل البيت والصحابة ص: 22.
(5) الأسماء والمصاهرات بين أهل البيت والصحابة ص: 25.
(6) الشيعة وأهل البيت ص: 224.

obeikandl.com